الدرس رقم2: بناء الإشكالية.

مقدمة:

إن البحث العلمي ما كان ليأخذ المكانة الكبرى كأساس لتقدم المعارف و تطور الإنسانية لولا انه في الأصل نشاط لحل المشاكل التي تعترض الإنسان و يشكل تفسيرها خطوات لتقدمه نحو الأفضل، من هنا ندرك انه بقدر ما كانت مشكلة البحث نوعية و جيدة بقدر ما كان البحث جديا و هاما، هذا من جهة.

و من جهة أخرى فان إشكالية البحث باعتبارها في الأساس تتركز على المشكلة يعتبر إعدادها أصعب الخطوات في البحث على الإطلاق و أهمها في مجال البحث.

تحديد مشكلة البحث:

المشكلة:

هي عبارة عن ظاهرة أو مسالة تنتج عن علاقات و متغيرات نحاول البحث عن حل لها.

و حسب دائرة المعارف العربية المشكلة هي " المشكلة بصفة عامة هي كل موقف غير معهود لا يكفي لحله الخبرات السابقة و السلوك المألوف، و هي عائق في سبيل هدف مرغوب يشعر الفرد إزائها بالحيرة و التردد و الضيق مما يدفعه للبحث عن حل للتخلص من هذا الضيق و بلوغ الهدف.

و المشكلة شيء نسبي فيما يعده الطفل مشكلة قد لا يكون مشكلة عند الكبير.

إن البحث الذي يبدأ من فراغ لا ينتهي إلا إلى فراغ لذلك فان اختيار مشكلة البحث (الظاهرة) و تحديدها بدقة يعتبر أول و أصعب مرحلة من مراحل البحث في موضع ما، و هذا لان المشاكل كثيرا

ما تتشابك و تتعقد و تختلط بالظواهر العامة الأخرى، و بالتالي فان تحديدها لا يكون إلا بنوع من التشخيص الدقيق.

إن التوصل إلى مشكلة نوعية لموضوع بحث لا يأتي إلا بقيام الطالب الباحث بقراءات عميقة و واسعة تلفت انتباهه إلى وجود ظاهرة (مشكل) لم يستوفي حقه بعد من التفسير و البحث، أو مشاكل لم يتم البحث فيها أصلا، و هذا ما يسمى بالشعور بالمشكل.

بعد مرحلة الشعور بالمشكل ينبغي تحديدها تحديدا دقيقا و يتوقف ذلك على مدى عمق الباحث في فهم المشكلة و سعة اطلاعه على البحوث العلمية السابقة التي أجريت على مشاكل مشابهة لها. مما يمكنه من الاستفادة من الخبرات السابقة و تجنب أخطائها أو استكمال ما ورد فيها من نقص.

و لتحقيق مشكلة البحث (الظاهرة) هناك أربعة أسئلة رئيسية تفيدنا في تحديدها بأكثر دقة.

1-لماذا نهتم بهذا الموضوع؟:

إن المطلوب هنا هو تحديد القصد الذي جعلنا نختار موضوعا دون آخر، فقد يكون الموضوع مستلهما من رغبة الطالب الباحث في تقديم مساعدة ما، أو توضيح لفكرة ما. و بصفة عامة فإننا نهتم بهذا الموضوع أكثر من الآخر لما يحمله من معاني تتصل بشخصيتنا أو تتصل بالمجتمع الذي نعيش فيه.

2-ما الذي نطمح بلوغه؟:

يتعلق الأمر هذه المرة بتحديد الهدف من البحث. أن القيام بالبحث هو أساسا لوصف الظواهر، تصنيفها، تفسيرها، فهمها أو التركيب بين بعض هذه الاحتمالات فعلى الطالب الباحث أن يكون لديه وضوح تام للأهداف التي يريد التوصل إليها من خلال خوضه في هذا الموضوع المختار.

3-ماذا نعرف إلى حد الآن؟:

علينا الآن أن نشرع في تقييم المعلومات حول الظاهرة (المشكلة) التي جمعناها أساسا من خلال قراءاتنا للأدبيات و عليه يمكننا هنا امتلاك معلومات ذات طبيعة فعلية أي (معطيات متنوعة) و معلومات من نوع نظري (تفسيرات و استنتاجات)، كما يمكننا أيضا الحصول على معلومات من نوع منهجي (الكيفيات) التي تم وفقها انجاز البحوث السابقة و التي تساعد في المراحل الأخرى من البحث. لكن انطلاقا من هذه اللحظة فان وفرة المعلومات عن المشكلة (الظاهرة) أو غيابها ستوجه العمل لاحقا بصفة خاصة.

4-أي سؤال بحث سنطرح؟:

بعد توضيحنا للقصد من البحث و الهدف منه و المعرفة التي اكتسبناها نستطيع في الأخير تحديد و صياغة مشكلة بحثنا في شكل سؤال يسمح بحصر المشكلة (الظاهرة) الخاصة بالبحث بدقة و رسم نطاقها و حدودها.

أسس اختيار مشكلة البحث:

- إن تثير اهتمام الباحث، و يشكل هذا الأساس احد المحفزات للبحث و ضمانات انجازه بكيفية جيدة.
- أن تكون المشكلة نوعية و جيدة.
- أن تكون قابلة للبحث فيها، حيث توجد العديد من المشكلات ذات الطبيعة الفلسفية التي تناقش عقليا و يصعب حلها عن طريق أدوات موضوعية.
- أن تتوفر المعلومات و الحقائق الكافية عنها.

صياغة و بناء الإشكالية:

الإشكالية: تتظمن عبارات لغوية بسيطة و دقيقة في آن واحد، و تعبر عن المشكلة تعبيرا واضحا يحيط بأبعادها و يتسم في الوقت ذاته بالموضوعية و قابلية القياس.

و يقول "لارامي" و "فالي" إن الإشكالية الخاصة بكل بحث هي التي تميز هذا البحث عن غيره من البحوث التي تتناول نفس المشكلة، لان الإشكالية هي التي تصف وجهة النظر التي تتم وفقها معالجة المشكلة.

بعد اختيار مشكلة البحث و تحديدها بدقة بالاستناد إلى الأسس المذكورة، يأتي دور بناء و صياغة الإشكالية، إذ لا يكفي مجرد إحساس الطالب الباحث بالمشكلة أو حديثه عنها، بل لا بد من صياغتها في ما يسمى بالإشكالية هذا ليوضح الطالب الباحث وجهة نظره إزاء الظاهرة (المشكلة) المراد البحث فيها أو بمعنى توضيح الزاوية، أو البعد المقصود الذي سيتم دراسة هذه الظاهرة منه و هذا يكون لمواصفات جيدة.

مواصفات الإشكالية الجيدة:

1-**صفة الوضوح و الدقة:** أن إشكالية البحث يجب أن لا تكون مبهمة أو غير عملية فلو طرحنا مثلا إشكالية و كان سؤالها كالتالي: "ما هي آثار الإصلاحات على حياة الرياضي الجزائري؟"

فان هذا السؤال يبدو واسعا جدا و غامضا في الوقت نفسه فعن أي إصلاحات نتكلم، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية ...الخ وعن أي جانب من الحياة، المهنية، أو العائلية ... الخ أو عن كل جوانب الحياة؟... إلى غير ذلك من التأويلات الممكنة لهذه الإشكالية.

إذا فقدرة الطالب الباحث على المعالجة الجيدة للإشكالية تتوقف على وضوحها و دقتها.

2-**صفة الواقعية:** و هي تتعلق بإمكانية انجاز البحث بالأخذ بعين الاعتبار قدرات الطالب الباحث و الموارد المتاحة له. لمعالجة الموضوع، و الوقت المتوفر له، فعليه قبل صياغة الإشكالية أن يتأثر من توفر هذه الجوانب حتى لا يقع في معالجة إشكالية صعبة تتطلب زمنا طويلا و موارد تتجاوز إمكانياتها المادية مما يضطره إلى التوقف عن البحث فيها، و بالتالي ضياع الوقت و الجهد.

3-**صفة النجاعة:** تشير هذه الصفة في جانب من جوانبها إلى نوايا الطالب الباحث في فهم ما هو موجود بغية توضيحه واستخلاص بعض القواعد التي تتحكم في الظاهرة و بالتالي فانه لا يصلح له أن ينطلق في بناء و صياغة الإشكالية على أحكام مسبقة بغية تأكيدها.

و من جهة أخرى ينبغي على الطالب الباحث أن يدرك و هو بصدد صياغة الإشكالية، أن المشكلة كثيرا ما تتشابك وتتعقد و تختلط بظواهر عامة، و بالتالي فان أسبابها الحقيقية لا يمكن التعرف عليها إلا بعد نوع من التشخيص الدقيق.